حول كلمة : تصوف

للدكتور عبد الحليم محمود
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

مارأى الباحثين الحديثين فى أصل كلمة : « تصوف » ؟

يقول الشيخ عبد الواحد يحيى :

أما أصل هذه الكلمة : « صوفى » : فقد اختلف فيه اختلافا كبيرا ، ووضعت فروض متعددة ، وليس بعضها أولى من بعض،وكلها غير مقبولة .

انها فى الحقيقة تسمية رمزية ، واذا أردنا تفسيرها ينبغى لنا أن نرجع الى القيمة العددية لحروفها ، وانه لمن الرائع أن نلاحظ أن القيمة العددية لحروف : « صـــوفى » تماثل القيمة العددية لحروف : « الحكمة الالهية » فيكون الصوفى الحقيقى ، اذن ، هو الرجل الذى وصل الى الحكمة الالهية ، انه : « العارف بالله » ، اذ أن الله لايعرف الا به .

وتلك هى الدرجة العظمى « الكلية » فيما يتعلق بمعرفة الحقيقة .

وقد انفرد الشيخ عبد الواحد يحيى ، فيما نعلم ، بهذا الرأى ، وهو رأى لايمكن أن ينقض بالادلة المنطقية ، ولكنه لايمكن أيضا أن يؤيد بالادلة المنطقية ، يستسيغه قوم دون برهان ، وينفر منه آخرون من غير ماحجة .

واذا تركنا الشيخ عبد الواحد لننظر الى الباحثين فى هذه اللفظة فاننا نجدهم ينقسمون الى فريقين لا ثالث لهما .

يجارى فريق منهم أبا الريحان البيرونى ، فى أنها مأخوذة عن أصـــل يونانى ، هو كلمة : « سوفيا » اليونانية .

وقد قال بهذا الرأى « فون هامر » من المستشرقين ، واعتنقه كثير من الأساتذة الباحثين : وأيده فى حرارة محمد لطفى جمعه .

أما السبب الذى جعلهم ينصرفون عن نسبة الكلمة الى الصوف ، فهو : انهم يعتقدون ان نسبتها الى الصـــوف يبعد الصوفية عن الحكمة الالهية ، وينسبها الى الظاهـــر والشكل وعلى حد تعبير محمد لطفى جمعه : « يجرد هذه الفرقة المنتمية الى الاسلام ، من صفة الحكمة والفضيلة » .

وقد بينا رأينا فى هذا الموضوع فى المقال الماضى ، ونقول الآن :

ان أصحاب هذا الرأى يعطون قوةوتأييدا لمن يزعم أن التصوفالاسلامى وليد الفلسفة الافلاطونية وهو رأى باطل ٠

ولقد هاجم الدكتور زكى مبارك هذا الرأى فى قوة وفى منطق سليم ٠

لقد كان العرب - حسبما يرى - مولعين بحفظ مايدخل لغتهم منالالفاظ الاجنبية ، ولو كان « التصوف » من « سوفيا » لنصوا عليه فى كثير من المؤلفات ٠

ثم ان كلمة « سوفيا » اليونانية ، معناها الحكمة ٠ وكانت « الفلسفة » عند اليونان القدماء تهتم بالعلوم الطبيعية ،وكان كثير منفلاسفتهم أطباء ، وقد ترجمها العرب : فسموا الطب : « الحكمة » وكلمة : « حكيم » لاتزال تؤدى معنى كلمة : « طبيب » ٠ والفلسفة نفسها سماها العرب : «الحكمة» وقالوا : تاريخ الحكماء ، فهم عرفوا من سوفيا « الفلسفة والطب » ٠ أما الحكمة الروحانية : فمن البعيد أن يكونوا لمحوها ، لانهـــم كانوا يرون اليونان من عبدة الاوثان ٠

ثم يقول الدكتور زكى مبارك ، فى ظرف ظريف ، وفى صورة من الجد ، هى تعبير ، أبلغ التعبير ، عن التهكم والسخرية : على أنه ، ما الذى يمنع أن تكون « سوفيا » بمعنى الحكمة الروحانية ، جاءت من كلمة : «صوف» ، وهى قديمة فى العربية ؟

ان التصوف قديم جدا عند العرب ، وهـو أســاس المسيحية ، ولبس الصوف كان علامة التقشف،فليس من المستبعد أن ترحل كلمة : «صوف» الى معابد اليونان »

ولم يبق بعد ذلك الا أن يكون هذا الرأى ، على حد تعبير الدكتور زكى مبارك : « ليس الا ضربا من الاغراب » ٠

أما الفريق الثانى من الباحثين الحديثين - وهم أكثرية - فانه يرى أن كلمة « تصوف » مأخوذة من « الصــوف » ولكن لهؤلاء مقــال خاص والله الموفق ٠٠

عبد الحليم محمود